@ 651 @ القدرية ، وأحكامه الأمرية ، وأحكامه الجزائية . فكلهم عبيد مماليك ، مدبرون مسخرون ، ليس لهم من الملك شيء . وأنه واسع الغنى ، فلا يحتاج إلى ما يحتاج إليه أحد من الخلق . ! 2 2 ! . وأن أعمال النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين ، لا تنفع ا شيئا وإنما تنفع عامليها ، وا غني عنهم ، وعن أعمالهم . ومن غناه ، أن أغناهم وأقناهم في دنياهم وأخراهم . ثم أخبر تعالى عن سعة حمده ، وأن حمده من لوازم ذاته ، فلا يكون إلا حميدا من جميع الوجوه ، فهو حميد في ذاته ، وهو حميد في صفاته . فكل صفة من صفاته ، يستحق عليها أكمل حمد وأتمه ، لكونها صفات عظمة وكمال . وجميع ما فعله وخلقه ، يحمد عليه ، وجميع ما أمر به ونهى عنه ، يحمد عليه . وجميع ما حكم به في العباد ، وبين العباد ، في هذه الحياة الدنيا ، وفي الآخرة ، يحمد عليه . ثم أخبر عن سعة كلامه عز وجل ، وعظمة قوله ، بشرح يبلغ من القلوب كل مبلغ ، وتنبهر له العقول ، وتتحير فيه الأفئدة ، وتسيح في معرفته أولو الألباب والبصائر ، فقال : ^ (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام) ^ يكتب بها ! 2 2 ! مدادا يستمد بها ، لتكسرت تلك الأقلام ولفني ذلك المداد ، و ! 2 2 ! . وهذا ليس مبالغة لا حقيقة له . بل لما علم تبارك وتعالى ، أن العقول تتقاصر عن الإحاطة ببعض صفاته ، وعلم تعالى ، أن معرفته لعباده ، أفضل نعمة ، أنعم بها عليهم ، وأجل منقبة حصلوها ، وهي لا تمكن على وجهها ، ولكن ما لا يدرك كله ، لا يترك كله ، فنبههم تعالى على بعضها تنبيها تستنير به قلوبهم ، وتنشرح له صدورهم ، ويستدلون بما وصلوا إليه إلى ما لم يصلوا إليه ، ويقولون كما قال أفضلهم وأعلمهم بربه : (لا نحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك) . وإلا ، فالأمر أجل من ذلك ، وأعظم . وهذا التمثيل ، من باب تقريب المعنى ، الذي لا يطاق الوصول به إلى الأفهام والأذهان . وإلا ، فالأشجار ، وإن تضاعفت على ما ذكر ، أضعافا كثيرة ، والبحور لو امتدت بأضعاف مضاعفة ، فإنه يتصور نفادها وانقضاؤها ، لكونها مخلوقة . وأما كلام ا تعالى ، فلا يتصور نفاده ، بل دلنا الدليل الشرعي والعقلي ، على أنه لا نفاد له ولا منتهى ، فكل شيء ينتهى إلا الباري وصفاته 2 ! 2 ! . وإذا تصور العقل حقيقة أوليته تعالى وآخريته ، وأن كل ما فرضه الذهن من الأزمان السابقة ، مهما تسلسل الفرض والتقدير ، فهو تعالى قبل ذلك إلى غير نهاية . وأنه مهما فرض الذهن والعقل ، من الأزمان المتأخرة ، وتسلسل الفرض والتقدير ، وساعد على ذلك من ساعد ، بقلبه ولسانه ، فا تعالى ، بعد ذلك إلى غير غاية ولا نهاية . وا من جميع الأوقات ، يحكم ، ويتكلم ، ويقول ، ويفعل كيف أراد ، وإذا أراد ، لا مانع له من شيء ، من

أقواله وأفعاله . فإذا تصور العقل ذلك ، عرف أن المثل الذي ضربه ا لكلامه ، ليدرك العباد شيئا منه ، وإلا ، فالأمر أعظم وأجل . ثم ذكر جلالة عزته وكمال حكمته فقال : ! 2 2 ! أي : له العزة جميعا ، الذي ما في العالم العلوي والسفلي من القوة ، إلا هي منه ، هو الذي أعطاها للخلق ، فلا حولا ولا قوة إلا به . وبعزته قهر الخلق كلهم ، وتصرف فيهم ، ودبرهم . وبحكمته خلق الخلق ، وابتدأه بالحكمة ، وجعل غايته والمقصود منه الحكمة . وكذلك الأمر والنهي ، وجد بالحكمة ، وكانت غايته المقصودة ، الحكمة فهو الحكيم في خلقه وأمره . ثم ذكر عظمة قدرته وكمالها وأنه لا يمكن أن يتصورها العقل فقال : ! 2 2 ! وهذا شيء يحير العقول . إن خلق جميع الخلق على كثرتهم وبعثهم بعد موتهم ، بعد تفرقهم في لمحة واحدة كخلقه نفسا واحدة . فلا وجه لاستبعاد البعث والنشور ، والجزاء على الأعمال ، إلا الجهل بعظمة ا وقوة قدرته . ثم ذكر عموم سمعه لجميع المسموعات ، وبصره لجميع المبصرات فقال : ! 22 ! . ! 2 2 ! وهذا فيه أيضا ، انفراده بالتصرف والتدبير ، وسعة تصرفه بإيلاج الليل في النهار ، وإيلاج النهار في الليل ، أي : إدخال أحدهما على الآخر ، فإذا دخل أحدهما ، ذهب الآخر . وتسخيره للشمس والقمر ، ويجريان بتدبير ونظام ، لم يختل منذ خلقهما ،